

بسم الله الرحمن الرحيم:

## النوجيه المعنوي للحرف القرائي في تفسير ابن جرير الطبري

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبعد: فهذه صفحات تتوخى تتبع توجيهات إمام المفسرين ابن جرير الطبري (ت 310هـ) للخلف القرائي في تفسيره، توجيهات تؤم معنى الحرف المقروء به وتأويله، دون سائر أنواع التوجيه الموردة، إلا ما كان منها خادماً للمعنى والتفسير... أحاول بثها في هذا الركن مجزأة في سلسلة مقالات مفرقة... سائلاً الله العلي القدير عز ذكره عونه وتوفيقه إنه نعم المولى ونعم النصير.

### من سورة الفاتحة:

قوله تعالى: ( مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ) آية 3

#### 1- حكاية وجوه القراءة:

اختلفت القراءة في تلاوة هذا الحرف على وجوه، ذكر منها ابن جرير ثلاثة:  
الأول: قرأ (مالك) بالألف على وزن فاعل: عاصم والكسائي، ويعقوب وخلف، ووافقهم الحسن المطوعي.

الثاني: وقرأ الباكون (ملك) بغير ألف على وزن فعل صفة مشبهة.

الثالث: وروي (مالك) بفتح الكاف عن المطوعي، والجمهور بكسرها.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - انظر في نسبة هذه الوجوه: إتحاف فضلاء البشر: 163 علماً أن ابن جرير لم ينسب هذه الوجوه إلى معينين.

## 2- التوجيه المعنوي لهذه الوجوه:

### • قراءة مالك:

المالك مشتق من الملك، وتأويل قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) أن لا أحد يملك في ذلك اليوم معه حكماً، كملكهم في الدنيا، كما قال ابن عباس.<sup>2</sup>

### • قراءة ملك:

الملك مأخوذ من الملك عند أهل المعرفة بلغات العرب، ويكون تأويل قراءة من قرأ ذلك: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، أن الله الملك يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبورية<sup>3</sup>. فأيقنوا بقاء الله يوم الدين أنهم الصغرة الأذلة، وأن له - من دونهم، ودون غيرهم - الملك والكبرياء، والعزة والبهاء، كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيهه: (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَسِّ الْمُلْكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْفَهَّارِ ﴿١٥﴾ [سورة غافر: 15]). فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا، الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار<sup>4</sup>.

### • قراءة مالك بنصب الكاف:

أي على سبيل المناداة والدعاء، بجذف حرف النداء. وإنما قرأ من قرأ كذلك ليناسب (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فظن أنه لا يصح معنى ذلك بعد جره (مالك يوم الدين)، فنصب: (مالك يوم الدين) ليكون (إياك نعبد) له خطاباً. كأنه أراد: يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين.<sup>5</sup> وقد نبه ابن جرير إلى خطأ هذا المسلك، فأبان أن التناسب في الخطاب حاصل من بداية السورة، فقال: "ولو كان (أي قارئ مالك بنصب الكاف) علم تأويل أول السورة، وأن (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أمر من الله عبده بقليل ذلك<sup>6</sup> - كما ذكرنا

<sup>2</sup> - جامع البيان 1/149

<sup>3</sup> - الجبرية والجبوت واحد

<sup>4</sup> - جامع البيان 1/149

<sup>5</sup> - نفسه 1/153

<sup>6</sup> - انظر بيان هذا المعنى عند تفسيره للحمد بداية السورة 1/135 فما بعدها

قبل من الخبر عن ابن عباس: أن جبريل قال للنبي صلى الله عليهما وسلم عن الله تعالى ذكره: قل يا محمد، (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ① الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ②) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ③، وقل أيضا يا محمد: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) - وكان عقل عن العرب أن من شأنها إذا حكى أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول، أن تخاطب، ثم تخبر عن غائب، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب؛ لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب، كقولهم للرجل: قد قلت لأخيك: لو قمت لقت، وقد قلت لأخيك: لو قام لقت - لسهل عليه مخرج ما استصعب عليه وجهته من جر "مالك يوم الدين".<sup>7</sup>

يذهب في هذا إلى أن ملجئ قارئ مالك بالنصب، وهو تناسب الخطاب من مالك إلى إياك، لا يصح؛ لأن الخطاب من العبد ثابت مبتدأ السورة؛ فالحمد لله من قيل العبد، لا من سواه، وكذلك التوجه بالعبادة إليه سبحانه خالصة له. وإنما انتقل في التعبير من الغيبة إلى الخطاب جريا على عادة العرب في تعبيرها من الالتفات. وعلى هذا اعتبرت هذه القراءة لدى ابن جرير "محظورة غير جائزة، لإجماع جميع الحجة من القراء وعلماء الأمة على رفض القراءة بها".<sup>8</sup>

### 3- اختيار ابن جرير وتوجيهه:

قال ابن جرير: "وأولى التأويلين بالآية، وأصح القراءتين في التلاوة عندي، التأويل الأول، وهي قراءة من قرأ (مَلِك) بمعنى المَلِك. لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك، إيجابا لانفراده بالملك، وفضيلة زيادة الملك على المالك؛ إذ كان معلوما أن لا مَلِك إلا وهو مالك، وقد يكون المالك لا ملكا".<sup>9</sup>

وقد أفاد هذا الكلام وما سيق بعده أمرين هما مبنى اختيار ابن جرير:

<sup>7</sup> - نفسه 153

<sup>8</sup> - جامع البيان 1/ 154

<sup>9</sup> - نفسه 1/ 150

أولهما: أن في المُلْك زيادة معنى على مالك، ويتضمنه ويوجبه. فلأمْلِك إلا وهو مالك.

ثانيهما: أن إيراد المَلِك وصفا لرب العزة على هذا المتقرر، بعد وصفه تعالى برب العالمين، إضافة خلة من خلاله لا توجد في متقدم الوصف. أما لو اختير (مالك) لكان فيه إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله: (رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، مع تقارب الآيتين وتجاوز الصفتين. وكان في إعادة ذلك تكراراً ألفاظ مختلفة بمعان متفقة، لا تفيد سامع ما كرّر منه فائدةً به إليها حاجة. والذي لم يحوه من صفاته جل ذكره ما قبل قوله: (مالك يوم الدين)، المعنى الذي في قوله: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، وهو وصفه بأنه الملك" 10 .

ولهذين الأمرين ترجحت لدى الإمام قراءة (ملك) على (مالك) فقال في مزيد بيان معنى الكلمة "فبين إذا أن أولى القراءتين بالصواب، وأحق التأويلين بالكتاب، قراءة من قرأه (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، بمعنى إخلاص المُلْك له يوم الدين، دون قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) الذي بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء، متفردا به دون سائر خلقه" 11

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

يتبع .....

<sup>10</sup> - نفسه 150/1

<sup>11</sup> - جامع البيان 150/1